المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم

د.خالد بن إبراهيم الدبيان

جامعة سلمان بن عبدالعزيز

المملكة العربية السعودية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسل رحمة وهداة للعالمين، ورضي الله عن الصحب الكرام والأئمة العظام، أعلام الهدى ونور التقى. أما بعد:

لقد جاءت الشريعة الإلهية لتحقيق العبودية لله تعالى، كما قال تعالى{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ }[1] وتعبد الله في أرضه وإقامة شرعه في الناس يقتضي مبدأ الترغيب والترهيب وهو منهج الرسل، قال تعالى {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[2].

فيذكر تعالى في هذه الآية زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد،

---

[1] سورة الذاريات-(56).

[2] سورة الأنعام-(48).

حصلت له البشارة. والمنذر والمنذر به، والأعمال التي من عملها، حقت عليه النذارة[1].

وهذه الشريعة الربانية مستلزمة أوامر يجب أن تفعل، ونواهي يجب أن تجتنب وتترك كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[2].

وقد حصر علماء الإسلام أحكام الشريعة وما جاءت لتحقيقه، بضروريات خمس وهي المتفق على رعايتها في جميع الشرائع: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها، بحيث لو انحرفت، لم يبق للدنيا وجود، من حيث الإنسان المكلف، ولا للآخرة من حيث ما وعد بها[3].

ومن لوازم إقامة شرع الله ورعاية هذه الضروريات الخمس أن تختص فئة من الأمة تكون عليها مسؤولية هذا الأمر، وهي ما تسمى بالنيابة عن الشارع في حفظ الدين وسياسة الدنيا[4].

ولهذا أنزل الكتاب والميزان فقال {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[5] قال ابن تيمية عن دلالات هذه الآية: (أخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان

---

[1] تفسير السعدي -219

[2] صحيح البخاري-كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة-باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ-رقم (6744)

[3] انظر: شرح الكوكب المنير-ابن النجار-442/4.

[4] السياسة الشرعية-ابن تيمية-62.

[5] سورة الحديد-آية رقم (25)

لأجل قيام الناس بالقسط. وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا. ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال بعض السلف: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء)[1].

وهذه الفئة الناصرة للدين بالسنان، هم العسكريون، وبين الفقهاء[2] رحمهم الله أمثلة الواجبات التي يقومون بها نصرة للمظلوم وانتصاراً للحق وأهله، وحماية لدين الله وحرمات المسلمين.

ومن واقع ما عاشته الأمة الإسلامية المعاصرة مما قد يحدث في بعض دولها من اضطرابات أمنية أو انقلابات عسكرية، يكون العامل الحاسم الوحيد فيه للجيوش، وهذا ما يشهد به تاريخ الانقلابات العسكرية في العالم العربي والإسلامي، مثال ذلك ما جاء في البيان رقم واحد الذي أذيع بعد إسقاط عبدالكريم قاسم: (أبناء الشعب الكرام: إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة 14 تموز المجيدة) .. لقد تسلطت القوى العسكرية ذات النزعة التسلطية، فكانت نسبتهم في مركز اتخاذ القرار (المجلس الوطني لقيادة الثورة) هي 60% (12 من أصل 20) ناهيك عن دورهم في المؤسسات المؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية العامة[3]. لهذا وغيره كان لزاماً تربية العسكريين على العقيدة المبنية على الكتاب والسنة.

أسباب اختيار الموضوع:

لذا أردت أن أبين ومن خلال آيات القرآن المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم ، وذلك للأمور التالية:

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -157/18

[2] انظر: المجموع-النووي-153/20. والشرح الكبير-ابن قدامه-458/11 و مقدمة ابن خلدون -277/1.

[3] عبدالكريم قاسم في يومه الأخير-286 -عقيل الناصري-دار الحصاد-سوريا-ط1-2003م.

1. إضافة مبحث في موضوع العقائد يخص العسكريين، وهي فئة مهمة لها أثرها في مجتمعات المسلمين.

2. بيان شمولية الوحي الإلهي في التربية والتوجيه وأنه المصدر الأساس في ذلك.

3. جمع ما تفرق من أقوال السلف عن مسائل العقيدة والمتعلقة بالعسكريين.

4. ربط العسكريين بكتاب الله تعالى تربية وتوجيهاً وفي أعظم مسائل العلم، وهي المسائل الاعتقادية.

5. توضيح الوسائل التربوية التي ذكرت في القرآن الكريم في التربية العقائدية للعسكريين.

6. إحياء فقه تدبر القرآن الكريم في جميع المجالات وبصفة الخصوص فيما يخص العسكريين.

المطلب الأول: تعريف ومفهوم العقيدة والمبادئ العسكرية

بين علماء السلف رحمهم الله تعالى مفهوم ودلالة كلمة العقيدة، مستنبطين ذلك من الكتاب والسنة، وقد قال الشاطبي: (لا بد في كل مسألة يراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه، أن يلتفت إلى أصلها في القرآن، فإن وجدت منصوصاً على عينها أو ذكر نوعها أو جنسها فذاك، وإلا فمراتب النظر متعددة)[1].

ومن هذا المبدأ كان معنى كلمة (عقيدة) في لغة العرب تعني (الجزم) إذ أن العَقْد: العهدِ والجمع عُقودِ وهي أَوكد العُهود[2]. ويستدل لمعنى الجزم بقوله

---

[1] الموافقات-الشاطبي- 375/3.

[2] لسان العرب-ابن منظور-مادة عقد.

تعالى (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ)[1]. فالاعتقاد هو عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه[2].

والمصطلحات الشرعية، منها ما هو توقيفي يسمى باسمه الشرعي، لأن دلالته لا تفهم إلا بهذا المصطلح، ومنها ما يسوغ فيه الاجتهاد، فيقول ابن تيمية عن مسميات المصطلحات الشرعية، أنها تنقسم إلى :

ما أخبر به الشارع أو عرف بخبره.

وإلى ما أمر به الشارع. والذي أخبر به ينقسم: إلى ما دل على علمه بالعقل; وإلى ما ليس كذلك. والذي أمر به: إما أن يكون مستفادا بالعقل; أو مستفادا بالشرع، وإما أن يكون مقصودا للشارع. أو لازما للمقصود.

وضرب ابن تيمية مثالاً على ذلك، فيقول: صنف الشيخ أبو بكر الآجري "كتاب الشريعة" وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطة " كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " وغير ذلك . وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان..فسموا أصول اعتقادهم شريعتهم وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم. وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء الشريعة هي التي يسمي غيرهم عامتها " العقليات " و " علم الكلام " أو يسميها الجميع " أصول الدين " ويسميها بعضهم " الفقه الأكبر " وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب " كتاب السنة " كالسنة لعبد الله بن أحمد والخلال ...

واسم " السنة " و " الشريعة " قد يكون في العقائد والأقوال ; وقد يكون في المقاصد والأفعال. فالأولى في طريقة العلم والكلام والثانية في طريقة الحال والسماع وقد تكون في طريقة العبادات الظاهرة والسياسات السلطانية. فالمتكلمة جعلوا بإزاء الشرعيات العقليات أو الكلاميات والمتصوفة جعلوا

---

[1] سورة المائدة-آية رقم (89).

[2] كتاب التعريفات-الجرجاني-158-(العقائد).

بإزائها الذوقيات والحقائق والمتفلسفة جعلوا بإزاء الشريعة الفلسفة والملوك جعلوا بإزاء الشريعة السياسة.

وأما الفقهاء والعامة فيخرجون عما هو عندهم الشريعة إلى بعض هذه الأمور أو يجعلون بإزائها العادة أو المذهب أو الرأي.

والتحقيق: أن الشريعة التي بعث الله بها محمدا ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة وهذه الأشياء ما خالف الشريعة منها فهو باطل وما وافقها منها فهو حق; لكن قد يغير أيضا لفظ الشريعة عند أكثر الناس..)

ثم يؤكد ابن تيمية على وجوب التقيد بالأوامر الإلهية مهما اختلفت الأسماء، فيقول: (وبما ذكرته في مسمى الشريعة والحكم الشرعي والعلم الشرعي، يتبين أنه ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره بل كل ما يصلح له فهو في الشرع من أصوله وفروعه وأحواله وأعماله وسياسته ومعاملته وغير ذلك)[1].

والمراد من عرض ما ذكر لبيان أن كلمة (عقيدة عسكرية) مصطلح من المصطلحات الاجتهادية، كما نجد (العقيدة السفارينية والعقيدة الواسطية والعقيدة الطحاوية) وغيرها من كتب السلف التي تحمل أسماء مؤلفيها أو مكان كتابتها.

تعريف العقيدة العسكرية:

إن مدلول كلمة العقيدة العسكرية عند العسكريين، أنها (تعبر عن نظرة الدولة الرسمية للحرب كظاهرة تاريخية، اجتماعية، تمثل إحدى الوسائل الأساسية لتحقيق سياسة الدولة وأهدافها القومية، وهي تحدد الأسس العامة والمبادئ الرئيسة اللازمة لبناء الإستراتجية العسكرية وتكوينها)[2].

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية-19/306-309.

[2] العسكرية الإسلامية-الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفان- 82- ط1 الزرقاء مكتبة المنار 1401هـ. وانظر: قاموس (dod) للمصطلحات العسكرية. ومعجم

وفي الوثيقة الجديدة في الاتحاد الفيدرالي الروسي، عرفت العقيدة العسكرية بأنها: هي المبدأ العسكريّ لمجموعة من الرّؤى الرّسميّة، تحدّد التّوجيهات الاقتصاديّة العسكريّة و الاستراتيجيّة العسكريّة و السّياسيّة العسكريّة لتزويد أمن الاتّحاد الفيدراليّ)[1].

وقد بين ابن خلدون مفهوم العقيدة العسكرية، وذلك في إشارته أن من أسباب انتصار الجيوش قد تكون (في أمور ظاهرة وهي الجيوش، ووفرها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف. ومن أمور خفية وهي إما من خدع البشر وحيلهم في الإرجاف والتشانيع التي يقع بها التخذيل، وفي التقدم إلى الأماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك.. ومن أمور سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب، فيستولي الرهب عليهم من أجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة[2].

إن مفهوم العقيدة العسكرية أو المبادئ العسكرية في القرآن الكريم، والتي ستناولها بالدراسة، تعني مجموعة المبادئ التي استخدمها واستخدمتها جيوش الموحدين، لتوجيه نشاطاتها في سبيل دعم أهدافها ومبادئها. لأن العقيدة العسكرية، لا يمكن أن تكون عقيدة (جزم وتأكيد) حتى تكون مبادئ وأفكار واتجاهات، التي يعتنقها أفراد الجيش فيما يتعلق بالقضية التي يحاربون من أجلها[3].

المصطلحات العسكرية- (عقيدة). وموقع عاصفة الصحراء -الملحق ب-خالد بن سلطان. وموسوعة السياسية-135/4 (عقيدة). و قاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي-عربي) doctrine

(1) مركز الدراسات السّياسة في روسيا, 15 مايو, 2000.

(2) مقدمة بن خلدون-337/1.

(3) انظر: الفكر العسكري ونظريات الحرب-بسام العسلي- العدد الأول 1997م -ص12. وتطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية-اللواء الطيار الركن-عبدالرحمن بن حسن الشهري- مكتبة العبيكان-الرياض-الطبعة الأولى-1424هـ

وكما أن الجانب المعنوي يدخل أصلاً في مفهوم العقيدة العسكرية، فكذلك تتضمن العقيدة العسكرية الجانب المادي، والتي تشمل المفاهيم المتعلقة بالعلم والفن العسكريين وتطبيقهما في كافة المستويات (الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية.

ويستدل على تضمن العقيدة العسكرية النظم الاستراتيجية والعملياتية، ما أخبر الله في كتاب بقوله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ}[1] ويستخرج من هذه الآية: (استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفاً كصفوف الصلاة وأنه يستحب سدّ الفرجَ والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها. ثم إن القتال على هذه الهيئة اليوم من أصول العساكر المحمدية النظامية لا زالت منصورة مؤيدة بالتأييدات الربانية، ومما هو معلوم أنّ للوسائل حكم المقاصد فما يتوصل به إلى تحصيل الاتصاف بذلك مما لا ينبغي أن يتكاسل في تحصيله)[2].

ومن التنظيم العسكري ما أخبر الله في كتابه عن طريقة الحرب، فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً }[3] فهذا خطاب للمؤمنين المخلصين من أمة محمدﷺ، وأمرٌ لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرَع... وأمرهم ألاّ يقتحموا على عدّوهم على جهالة حتى يتحسّسوا إلى ما عندهم، ويعلموا كيف يرِدُون عليهم، فذلك أثبت لهم فعلّمهم مباشرة الحروب[4].

---

[1] سورة الصف-رقم الآية (4).

[2] روح المعاني -الألوسي- 84/28- دار إحياء التراث-بيروت-لبنان-ط:4-1405هـ

[3] سورة النساء-رقم الآية (71).

[4] الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-273/5- دار الكتب المصرية-ط:2-1372هـ.

ومن التنظيم العسكري، وارتباطه بالجانب العقدي، الوصايا العظيمة التي كان يوصي بها الخليفة أبوبكر الصديق للقادة العسكريين، فمن ذلك وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه إلى الشام، قال له: (يا يزيد إنكم ستقدمون بلادا تؤتون فيها بأصناف من الطعام فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواما قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم، وستجدون أقواما قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيرا هرما ولا امرأة ولا وليدا ولا تخربوا عمرانا ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تغدر ولا تمثل ولا تجبن ولا تغلل)[1].

من خلال ما كتبه المتخصصون في الدراسات العسكرية، يمكن حصر تعريف العقيدة العسكرية، وشموليتها بما يلي:

هي: الدليل الأساسي لتنظيم وتدريب القوات على مختلف المستويات.

هي: الدليل الرئيس لإعداد وبناء وتطوير القوات وتجهيزها واستخدامها في الحاضر والمستقبل.

هي: المنطق الأساسي لأية عملية عسكرية تقوم بها القوات مهما كان نوعها أو حجمها.

هي: القاعدة الأساسية لتوحيد جميع مفاهيم العسكريين تجاه استخدام القوات العسكرية للدولة.

هي: السياسة العسكرية المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية لهذه الدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها[2].

---

[1] السنن الكبرى-البيهقي-90/9- المعارف العثمانية-حيدر آباد-الهند-ط:1-1356هـ

[2] انظر: العقيدة العسكرية-اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ-23-دار الاعتصام-القاهرة-1976م. وتطور العقائد العسكرية -اللواء الطيار الركن عبدالرحمن الشهري-80.

صفات العقيدة العسكرية:

وبعد حصر التعريفات للعقيدة العسكرية عند المختصين، نذكر ما جعلوا لها من صفات، من أبرزها:

1) الإلزام، فهي التعبير الرسمي عن الفكر والمعرفة العسكرية التي تعمل بموجبها القوات في زمن معين لإدارة الصراع المسلح لحماية المصالح، وتحدد العقيدة العسكرية الأسس اللازمة لقدرات المعدات والتنظيم والقيادة والتكتيكات والتدريب والإسناد اللازمة لإنجاح العمليات العسكرية وإدامتها[1].

2) تحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى في الدولة، أي بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا، وذلك لتحقيق الغايات والأهداف المراد تحقيقها.

3) تصدر العقيدة العسكرية بعد نتاج مركب لأبحاث علمية ودراسات تاريخية تشمل كافة الأنشطة الحيوية للدولة ككل بغرض خلق وتطوير وجهات النظر الرسمية في الصراع المسلح[2].

4) تتحول عناصر العقيدة العسكرية للدولة إلى قوانين ومبادئ ونظريات تدرس لقادة ورجال الجيش في الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية المختلفة، كما يتم التدريب عليها في وقت السلم سواء في خلال التدريب اليومي أو المناورات السنوية، وأخيراً تطبق هذه القوانين والمبادئ والنظريات عملياً في الحرب إذا نشبت بين دولة وأعدائها[3].

والاستراتيجية السياسية والعسكرية - العماد مصطفى طلاس-493/1- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق-ط1-1991.

[1] العقيدة العسكرية-23-اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ.

[2] انظر: الاستراتيجية السياسية والعسكرية -مصطفى طلاس-493/1.

[3] انظر: العقيدة العسكرية-اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ-23.

5) العقيدة العسكرية هي المحرك الأساسي للقوات، لذا أصبح تفوق القوات المقاتلة على أرض المعركة، يعتمد على تفوق العقيدة التي يدين بها أفراد القوات، لأنها عامل نفسي يقود الأفراد - فرادى أو مجتمعين - إلى النجاح أو الفشل في أي موقف من المواقف الرئيسية التي تحتاج إلى ثبات وتضحية، في الوقت الذي تكون فيه بقية عوامل النجاح من خبرة وتنظيم متساوية[1].

6) تأسس العقيدة العسكرية لكل دولة وذلك بناء على مبادئ ودين الدولة، ولا يتصور أن تتبنى الدولة مبادئ وقيم، ثم تصدر عقائد مخالفة لمبادئها وقيمها لقادة الجيش، ويتدرب عليها قواتها[2].

المطلب الثاني: المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم

لقد أمر الله تعالى عباده تدبر كلامه وتدبر الآيات كما قال الزمخشري رحمه الله، هو: (التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدى إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأن من اقتنع بظاهر المتلوّ، لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها، ومهرة نثور لا يستولدها.

وعن الحسن قال: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله: حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة)[3].

---

[1] انظر: علم النفس العسكرية -عبداللطيف حسين فرج وعز الدين جميل عطية-430-دار الشروق- جدة- الطبعة الأولى، 1405هـ.

[2] العسكرية العربية الإسلامية-اللواء الركن محمود شيت خطاب-54-مؤسسة الرسالة-الطبعة الثانية-1405هـ.

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل-الزمخشري-90/4.

وعند قوله تعالى أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ النساء: ٨٢ قال القرطبي رحمه

الله: (دلت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه. فكان في هذا رد على فساد قول من قال : لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي ﷺ ، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب)[1].

ومن خلال تتبع أقوال العلماء عن التدبر فالذي يظهر أن المسلم له من كتاب الله تعالى المواقف التالية:

الموقف الأول: تلاوة القرآن الكريم. كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ النحل: ٩٨ وقال تعالى ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩٢.

الموقف الثاني: حفظ القرآن الكريم، قال تعالى﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٩ قال الحسن: (القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، يعني المؤمنين)[2].

الموقف الثالث: تفسير القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧.

الموقف الرابع: العمل بالقرآن الكريم، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ البقرة: ١٢١. قال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرم

---

[1] الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-290/5.

[2] تفسير الطبري = 52/20.

حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله.)[1].

الموقف الخامس: تدبر القرآن الكريم وفهمه، وهو ما ذكرته في هذا المطلب وما سوف أستنبطه من الآيات في بيان المبادئ والقيم العسكرية.

وبتتبع بعض الآيات القرآنية والتي تتناول أخبار الأمم السابقة كنبي الله موسى ﷺ مع قومه، أو نبي الله سليمان ﷺ، مع جيشه، أو نبي الله داود ﷺ وقتاله. أو توجيه وإرشاد الجنود الأوائل رضي الله عنهم، نستظهر من هذه الآيات الكريمة عددا من المبادئ والقيم التي يجب أن يتحلى بها المجاهد المسلم.

ومن أبرز هذه القيم والمبادئ العسكرية والمستخرجة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ما يلي:

أولاً) تجريد الإخلاص لله تعالى :

إن الإخلاص مقام عظيم، ومنزلة جليلة، وكانت الجاهليات تربى جنودها على منازل دنيوية كما يفهم من السؤال الموجه للرسول ﷺ: (عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2]. وقد جاء التوجيه الرباني بتصحيح المقصد لعساكر المسلمين بقوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3].

ولما زلت مقاصد بعض الصحابة رضي الله عنهم وعفا الله عنهم، في غزوة أحد بعد أن أصبحت من أجل الدنيا، كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي

---

[1] تفسير الطبري = 567/2.

[2] صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا- برقم (3525).

[3] سورة الأنفال-رقم الآية (47).

ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1].

ونقل المفسرون أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما كنت أظن أحدا من أصحاب محمد يريد الدنيا. حتى نزلت هذه الآية) فكانت النتيجة تغيير مسار المعركة من نصر إلى هزيمة، لأن المقصد عند البعض تغير {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُم} يعني بذلك جلّ ثناؤه: (ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم، وفي أنفسكم من هزيمتكم إياهم، وظهوركم عليهم، فردّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولي، ومخالفتكم طاعته، وإيثاركم الدنيا على الآخرة، عقوبة لكم على ما فعلتم، ليبتليكم، يقول: ليختبركم، فيتميز المنافق منكم من المخلص، الصادق في إيمانه منكم)[2].

ثانياً) السمع والطاعة في المعروف:

وبتدبر آيات القرآن الكريم في هذا المبدأ العظيم نجده عند قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾النور: ٦٢. قال القرطبي رحمه الله عن معنى الأمر الجامع، بأنه (المراد به ما للإمام من حاجة إلى تجمع الناس فيه لإذاعة مصلحة ، من إقامة سنة في الدين ، أو لترهيب عدو باجتماعهم وللحروب ؛ فإذا كان أمر يشملهم نفعه وضره جمعهم للتشاور في ذلك. والإمام الذي يترقب إذنه هو إمام الإمرة ، فلا يذهب أحد لعذر إلا بإذنه ، فإذا ذهب بإذنه ارتفع عنه الظن السيئ[3].

---

[1] سورة آل عمران-رقم الآية (152).

[2] تفسير الطبري-81/4.

[3] الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-320/12. وانظر: فتح القدير-الشوكاني-67/4.

ويؤكد علماء السلف رحمهم الله تعالى على السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ويذكرون هذا التأكيد موصلاً في أبواب الجهاد، مستدلين بما ثبت عن عُبادة بن الصامت قال : دعانا النبي ﷺ فبايَعَنا، فكان فيما أخذ علينا: " أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»[1]. ومن تمام فقه الإمام مالك أنه أورد هذا الحديث في كتاب الجهاد.[2].

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا ، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون،مع أن-والله-إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر[3].

ويجمع السلف رحمهم الله على وجوب الخروج مع الولاة في الجهاد والسمع والطاعة لهم، قال ابن تيمية (من أصول أهل السنة والجماعة، الغزو مع كل بر وفاجر؛ فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام؛ وإن لم يمكن إقامة جميعها.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة»[4] إلى غير ذلك من النصوص

---

(1) صحيح البخاري-كتاب الفتن- باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي- برقم(6532).

(2) المنتقى شرح الموطأ-الباجي- 159/3-مطبعة السعادة-مصر-ط:1-1332هـ

(3) جامع العلوم والحكم-ابن رجب الحنبلي-شرح حديث الثامن والعشرون-225.

(4) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة-برقم (3544).

التي أنفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم[1].

وهذا ما قرره علماء الأمة بأن الجهاد ماضيا مع كل إمام براً كان أم فاجرا، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجالَ؛ لا يبطله جور جائرٍ ولا عدل عادلٍ. و وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين؛ برهم وفاجرهم مما لم يأمروا بمعصية الله[2].

ثالثاً) الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين:

من أهم مقتضيات عقيدة الولاء البراء، الجهاد في سبيل الله لأنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان. ومن الآيات التي تقرر مبدأ الولاء والبراء على أسس شرعية، وعقيدة صحيحة، قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[3].

قال ابن تيمية عند هذه الآية: (جعل الله لأهل محبته علامتين: إتباع الرسول; والجهاد في سبيله. وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح; ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان . وقد قال تعالى:{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم} إلى قوله:{حتى يأتي الله بأمره} فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية- 501/28.

[2] الدرر السنية في الأجوبة النجدية- 32/1-33. وانظر: لمعة الاعتقاد -32/1. وشرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العز الحنفي. والموافقات-الشاطبي-6/1.

[3] سورة التوبة-رقم الآية (24).

من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد. فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض)[1].

وثبت في الأحاديث الصحيحة قال النبي ﷺ (لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)[2].

إن من معاني هذا الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه وجميع الناس ؛ لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله ، ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه)[3].

وقد حرص النبي ﷺ على تربية الجنود الأوائل على البعد عن الانتماء الجاهلي، وأن يعتقدون في سلوكياتهم الولاء الشرعي، فعن أبي عقبة وكان مولى لأهل فارس قال شهدت مع النبي ﷺ يوم أحد فضربت رجلا من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي فبلغت النبي ﷺ فقال: ألا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري)[4].

إن الآية السابقة فيها تقرير الجواب الذي ذكره في الآية الأولى وهي قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ التوبة: ٢٣ ، وذلك لأن جماعة من المؤمنين قالوا يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية؟ وأن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين. فبين تعالى أنه يجب

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-10/191-192.

[2] صحيح البخاري-كتاب الآداب-باب الحب في الله-رقم الحديث (5581).

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري-ابن حجر-10/478.

[4] سنن ابن ماجه-كتاب الجهاد-باب النية في القتال-برقم (2774).

تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون، حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبة عاجلة أو آجلة)[1].

لقد أوضحت الآية الكريمة بالتصريح والتلميح، أن مسألة الولاء والبراء أساسه الدين دون أي اعتبارات أخرى، ولإزالة مما قد يظهر للمسلمين على مر الدهور في المساومة على عقيدة الولاء والبراء بينت الآية التالية بطلان منهج التمييع العقدي، أو المساومة عليها، وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾[2].

هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله،وبين الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم،فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال،فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء[3].

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام. وقد امتزجت

---

(1) التفسير الكبير-الرازي-18/16.

(2) سورة الأنفال-رقم الآية (72).

(3) تيسير الكريم الرحمن-السعدي-288- -مؤسسة الرسالة-ط:1-1420هـ.

عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال[1].

رابعاً) اعتقاد العناية الإلهية للمجاهدين في سبيله:

لقد ربى القرآن الكريم العسكريين بأن ربطهم بخالقهم سبحانه وتعالى، ودلت آيات القرآن على معية الله لهم، كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]. وقال تعالى ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

إن معية الله تعالى للعسكريين هي من المعية الخاصة، إذ أن الله مع جميع خلقه (بعلمه) سبحانه كقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]. قال ابن تيمية: والمعية معيتان: عامة وخاصة. فالأولى قوله تعالى: {وهو معكم أين ما كنتم} والثانية قوله: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[5].

---

[1] انظر عن موضوع الولاء والبراء: جامع الرسائل –ابن تيمية-373/1. والولاء والبراء - محمد بن سعيد القحطاني-دار طيبة-الرياض-ط1. والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية-محماس بن عبدالله الجلعود-دار اليقين-المنصورية-ط1 -1407هـ. والرحيق المختوم-صفي الرحمن المباركفوري-282.

[2] سورة التوبة-آية (123).

[3] سورة البقرة-آية(194).

[4] سورة المجادلة-آية(7).

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية-122/5.

وللعناية الإلهية بالعسكريين الموحدين كانت المعية الخاصة شاملة لهم، ومن المبادئ العقائدية في مسألة المعية، أن يستشعر العسكري بأن الله الذي وصف نفسه سبحانه {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} تؤيده وتنصره، كما تقتضي علمه وإطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه، فمن حفظ الله، وراعى حقوقه، وجده أمامه وتجاهه على كل حال، فاستأنس به، واستغنى به عن خلقه[1].

ومن معاني العناية الإلهية والتأييد للعسكريين في القرآن الكريم، ما يلي:

1. الإمداد بالملائكة:

إن من معية الله للعسكريين في بدر أمدهم الله بملائكته للمشاركة في القتال مشاركة معنوية وهو التثبيت، ومشاركة حسية وهو القتال، قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[2].

2. إلقاء الرعب:

إن من تأييد الله للعسكريين ومعيته لهم، إنزال الرعب في قلوب الأعداء، ومعنى: الرُّعْبُ: الخوف. رَعَبْتُ فلاناً رُعْباً ورُعُباً فهو مرعوب مُرْتَعِبٌ، أي: فَزِع[3]. وجاءت كلمة الرعب في القرآن الكريم في أربع آيات تتضمن كلمات الشدة (قذف) و(إلقاء). وهذه العناية والحفظ للعسكريين، (غير مختص بيوم أحد، بل هو عام. قال القفال رحمه الله: كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد إلا أن الله تعالى سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان. وقد فعل الله ذلك حتى صار

---

(1) جامع العلوم والحكم –ابن رجب الحنبلي-شرح الحديث (19). (بتصرف)

(2) سورة الأنفال-آية(12).

(3) كتاب العين - (ج 1 / ص 112-الخليل بن أحمد

دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل، ونظير هذه الآية قوله ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[1].

3. تقليل العدد في الأبصار:

من آثار معية الله للعسكريين تقليل العدد في الرؤية البصرية، قال تعالى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[2]. ومعنى الآية: أي واذكروا وقت إراءتكم إياهم حال كونهم قليلاً، حتى قال القائل من المسلمين لآخر: أتراهم سبعين؟ قال: هم نحو المائة. وقلل المسلمين في أعين المشركين حتى قال قائلهم: إنما هم أكلة جزور، وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه كثر الله المسلمين في أعين المشركين، كما قال {يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ العين}[3] ووجه تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلاً أقدموا على القتال غير خائفين، ثم يرونهم كثيراً فيفشلون، وتكون الدائرة عليهم، ويحلّ بهم عذاب الله وسوط عقابه[4].

4. إرسال الريح:

ومن معاني المعية للعسكريين إرسال الريح، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً}[5] يذكر الله منته لعباده المجاهدين ونعمته عليهم بأن أرسل ريحاً على المشركين في غزوة الأحزاب، وبأمر الله وقدرته جرت هذه الرياح، قال ابن تيمية: (كان عام الخندق برد شديد وريح شديدة

---

(1) تفسير الرازي- 131/15.

(2) سورة الأنفال-آية(44).

(3) سورة آل عمران-آية(13).

(4) فتح القدير-الشوكاني-313/2-314..

(5) سورة الأحزاب-آية(9).

منكرة بها صرف الله الأحزاب عن المدينة كما قال تعالى {فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها}[1] وكانت الهزيمة للمشركين.

5. **إنزال السكينة:**

من المبادئ العقائدية للعسكريين ما تتضمنه معية الله الخاصة، بأن أنزل الله السكينة في قلوبهم كما قال {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}[2] والسكينة التي نزلت تعني طمأنينته وثباته على رسوله ﷺ والذين معه[3].

قال ابن تيمية: وكان المسلمون على عهد نبيهم ﷺ وبعده، لا يعرفون وقت الحرب إلا السكينة، وذكر الله سبحانه[4].

إن المسلمين على مجرى العادة لزم أن يوجد منهم أحد الأمرين: إما إقدام، وإما انهزام لأن أحد العدوين إذا اشتد غضبه فالعدو الآخر إن كان مثله في القوة يغضب أيضاً وهذا يثير الفتن، وإن كان أضعف منه ينهزم أو ينقاد له، فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا، وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى.

خامساً) التخلق بآداب الجهاد في الإسلام:

الإيمان شعب كثيرة كما ثبت في الحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان)[5] وثبت أن هذه الشعب لها أعلى ولها أدنى كما ثبت (الإيمان بضع وسبعون أو بضع

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج 6 / ص 419

[2] سورة الفتح-آية(18).

[3] تفسير ابن كثير-321/7.

[4] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - (ج 1 / ص 277

[5] صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب أمور الإيمان-رقم (8).

وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[1].

ومما يتعلق في بحثنا عن من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم أن حماية الدين ونصرته، لا تعني بالضرورة الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، كما أنها لا تعني المخادعة والمكر. وقد نزلت آيات قرآنية توجه العسكريين بالتخلق بأخلاق أهل الإيمان، وتلزمهم بضوابط الشريعة.

ومن أبرز الأخلاق الإيمانية التي يلزم العسكري التعبد بها، ما يلي:

1. تنقية الصف من الدخلاء:

قال تعالى ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ التوبة: ٤٧ ففي هذه الآية كما قال القرطبي رحمه الله: (هو تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقين عنهم. والخبال: الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف)[2].

إن القلوب الحائرة تبث الخور والضعف في الصفوف، والنفوس الخائنة خطر على الجيوش ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم بل لزادوهم اضطراباً وفوضى. ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل. وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين. ولكن الله الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين، كفى المؤمنين الفتنة، فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين)[3].

---

[1] صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها-رقم (51).

[2] الجامع لأحكام القرآن (8/ 156)

[3] في ظلال القرآن-سيد قطب-1663/3.

2. الثبات حتى الممات:

إن حفظ الثغور وحماية الأنفس والأعراض، والصبر على منازلة الأعداء وتحمل المشاق في الحروب والاستعداد لها، يستلزم لهذه الأمور وغيرها إيماناً صادقاً، وأنفساً تأبى التنازل عن مبادئها، لهذا جاء تحريم الخيانة في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[1] في سياق آيات الجهاد.

وكان التولي عن العدو والهروب يوم الزحف في مصاف الشرك بالله، كما ثبت في الحديث (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[2] قال النووي: وأما عده ﷺ التولي يوم الزحف من الكبائر فدليل صريح لمذهب العلماء كافة في كونه كبيرة[3].

وقد حرم الله في كتابه الانهزامية من مقابلة الأعداء، فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ}[4].

إن التولي يوم الزحف على إطلاقه يستحق هذا التشديد لضخامة آثاره الحركية من ناحية؛ ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحية، إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخا ثابتا لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة-وهو يواجه الخطر- فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هزيمة وفرارا. والآجال بيد الله، فما يجوز أن يولي المؤمن خوفا على الحياة. وليس في هذا تكليف للنفس فوق

---

[1] سورة الأنفال-رقم الآية (27).

[2] صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب رمي المحصنات-رقم الحديث(6351).

[3] شرح صحيح مسلم-النووي-كتاب الإيمان-بيان الكبائر وأحكامها.

[4] سورة الأنفال-رقم الآية (15).

طاقتها. فالمؤمن إنسان يواجه عدوه إنسانا، فهما من هذه الناحية يقفان على أرض واحدة. ثم يمتاز المؤمن بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها. ثم إنه إلى الله إن كان حياً، وإلى الله إن كتبت له الشهادة. فهو في كل حالة أقوى من خصمه الذي يواجهه وهو يشاق الله ورسوله [1].

وجاء الثناء الإلهي لمن وفاء بما عاهد عليه الله، بقوله تعالى{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}[2]،دلت هذه الآية على أن من المؤمنين رجالاً أدركوا أمنيتهم، وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا حتى قتلوا{وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ} فإنهم مستمرّون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال لعدوّه ، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل، وإدراك فضل الشهادة، وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم، بل ثبتوا عليه ثبوتاً مستمراً[3].

3. تحريم الظلم:

قال تعالى {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}[4] إن التوجيه الإلهي في هذه الآية للعسكريين بأن (لا تقتلوا وليدًا ولا امرأةً، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابَين والمجوس،"إنّ الله لا يُحب المعتدين" الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حَرَّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم[5].

---

[1] في ظلال القرآن-سيد قطب- 1489/3.

[2] سورة الأحزاب-رقم الآية (23).

[3] فتح القدير-الشوكاني- 272/4-دار المعرفة-بيروت-لبنان

[4] سورة البقرة-آية(190).

[5] تفسير السعدي-71.

ومن أقوى أسباب عدم تولي الولايات على الناس الظلم، ولهذا لما ابتلى نبي الله إبراهيم ﷺ بالإمامة، طلب من ربه أن تستمر الإمامة في ذريته، فقال الله له {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }[1].

إن من معاني هذه الآية أن لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها)[2].

4. النفقة في الجهاد وتجهيز الغازي:

التحرر من الشح وحب المال من أبرز الصفات التي يجب أن يتصف بها العسكريون، كما أن بذل المال من صفات أهل الإيمان،قال تعالى {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ}الآية[3].

ولهذا كان التوجيه القرآني بقوله {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[4] ثبت في الصحيح عن حذيفة (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال: نزلت في

---

(1) سورة البقرة-آية(124).

(2) تفسير الطبري-498/2.

(3) سورة البقرة-آية(177).

(4) سورة البقرة-آية(195).

النفقة[1]. وقد عدد الله بعض خصال المجاهدين الأوائل وما رتب عليها من الأجر العظيم فقال تعالى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[2]. وثبت في السنة الحث على نفقة المجاهدين، فعن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا)[3].

إن مضمون الآية الأمرُ بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القُربات ووجوه الطاعات، وخاصّة صرفَ الأموال في قتال الأعداء وبذلهَا فيما يَقْوَى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار إن لزمه واعتاده[4].

5. نصرة المظلوم:

من الصفات الإيمانية التي ربى القرآن الكريم العسكريين عليها نصرة المظلوم، قال تعالى {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}[5].

ففي هذه الآية يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة، من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها؛ ولهذا قال تعالى: { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ } يعني: مكة. ثم وصفها بقوله: {الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا

---

[1] صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن-باب قوله (وأنفقوا في سبيل الله)-رقم (4154).

[2] سورة التوبة-آية (121).

[3] صحيح البخاري-كتاب الجهاد والسير-باب فضل من جهز غازيا-رقم (2631).

[4] تفسير ابن كثير-171/4.

[5] سورة النساء-آية(75).

وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} سخر لنا من عندك وليا وناصرا. وثبت عن ابن عباس أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين[1].

ولأهمية نصرة المظلوم أن الإمام محمد بن عبدالوهاب أعتبر خذلان المظلوم من الكبائر[2]. ونصرة المظلوم من أبرز من يقوم بها من ولاه الله ولاية شرعية على المسلمين، وهم العسكريين[3].

6. **الوفاء بالعهد:**

إن نقض الوفاء بالعهود تعتبر من الكبائر المؤثرة في الإيمان[4]. ومن تربية القرآن العقائدية للعسكريين تربيته على الوفاء بالعهود، قال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ }[5] وهذا الأمر بالوفاء مع المستجير لا يخص الرسول ﷺ بل هو أمر عام للأمة، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام الله[6]. وكتب عمر بن عبد العزيز بذلك إلى الناس؛ قال الأوزاعي: هي إلى يوم القيامة)[7].

ومعنى آية وفاء المستجير كما قال أهل التفسير: (إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاء. ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدًا أو في رسالة.

---

(1) تفسير ابن كثير-314/2. انظر: صحيح البخاري-كتاب التفسير-باب تفسير (ومالكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين)-رقم(4222).

(2) كتاب الكبائر-محمد بن عبدالوهاب-215.

(3) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام-الشهرستاني-168. و فتح الباري-ابن حجر-99/5

(4) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر—كبيرة 53. وشعب الإيمان-البيهقي-شعبة54.

(5) سورة التوبة-آية(6).

(6) انظر: تفسير السعدي-290

(7) المغني-ابن قدامة-

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه[1].

وقد تربى الجنود الأوائل على الوفاء بالعهد فمن ذلك أن معاوية كان بينه وبين أهل الروم عهد وكان يسير في بلادهم حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم، فإذا رجل على دابة أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عبسة، فسأله معاوية عن ذلك، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً، ولا يشدنه، حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء) قال: فرجع معاوية بالناس[2]. (وَإِنما كَرِهَ عَمْرُو ذلكَ لأَنَّهُ إذا هادنهُمْ إلى مُدَّةٍ وَهو مُقِيم فِي وطنه, فقد صارت مدَّةُ مسيره بعد انقضاءِ الْمدة المضروبة كالمشروط مع المدَّةِ في أن لا يغزوهم فيها, فإذا صار إليهم في أيام الهدنة كان إيقاعه قبل الوقت الذي يتوقعونه فعد ذلك عمرو غدراً)[3].

سادساً) التحرر من الدنيا وعوائقها:

من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم التحرر من الدنيا وعوائقها، لأن من علامات صدق الإيمان سلامة المقصد والنيات، وعدم الركون إلى الدنيا، وقد قال تعالى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[4].

---

[1] تفسير ابن كثير -55/4

[2] سنن الترمذي- كتاب السير-باب ما جاء في الغدر-رقم(1506)وقال حسن صحيح.

[3] شرح السنة-البغوي-166/11-167.

[4] سورة التوبة-آية (24).

ففي هذه الآية، أمر الله لرسوله ﷺ بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم، على الانتهاء عما نهوا عنه، من موالاة الآباء والإخوان، ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم، ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا الدنية على وجه التوبيخ والترهيب.

تعتبر محبة الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله الذي نظم حبه في سلك حب الله تعالى شأنه، وحب رسوله ﷺ، تنويهاً بشأنه، وتنبيهاً على أنه مما يجب أن يحب فضلاً عن أن يكره، وإيذاناً بأن محبته راجعة إلى محبة الله ومحبة حبيبه ﷺ، فإن الجهاد عبارة عن قتال أعدائهما لأجل عداوتهم، فمن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما[1].

لقد كانت هذه المبادئ مؤثرة في تربية الجنود الأوائل، فكان من حالهم رضي الله عنه، كما وصفه الله بقوله {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ }[2].

سابعاً) موازنة المصالح والمفاسد:

من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم أن يوازن العسكري بين المصالح فيأتيها، وبين المفاسد فيجتنبها، ومن أمثلة هذه الوسيلة التربوية قوله تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) وقد جاءت هذه الآية موصولة ببيان بعض أحكام الجهاد وهي قوله تعالى {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}[3].

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-الألوسي-10/71-75.

(2) سورة التوبة-آية (92).

(3) سورة البقرة-آية (191).

فالموازنة بين المصالح كما في هذه الآية هي أن (ابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجعَ عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه، أشدُّ عليه وأضرُّ من أن يُقتل مقيمًا على دينه متمسكا عليه، مُحقًّا فيه[1].

ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتلُ الرجال، نبَّه تعالى على أنّ ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطَم من القتل؛ ولهذا قال: { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } قال أبو مالك: أي: ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل[2].

المطلب الثالث:دراسة ميدانية عن أثر القرآن الكريم على العسكريين

ورغبة من الباحث في إبراز أثر تربي العسكري المسلم على تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه، يقدم دراسة ميدانية طبقت على عينة عشوائية لبعض الوحدات العسكرية في المملكة العربية السعودية عن هذا الموضوع، وبتحليل الدراسة يظهر أثر القرآن الكريم على العسكريين، فكانت النتائج كما يلي:

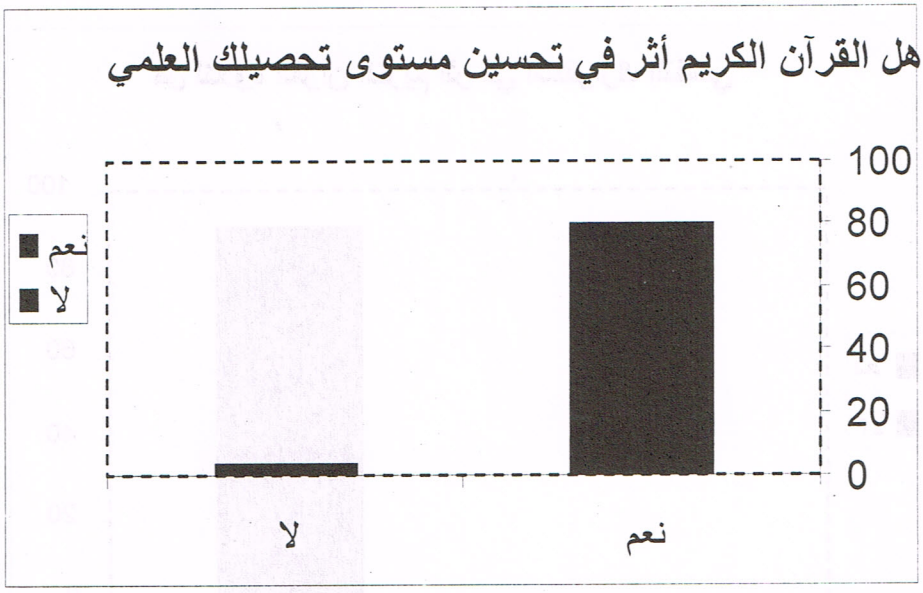

(1) تفسير الطبري -292/3.

(2) تفسير ابن كثير-327/1.

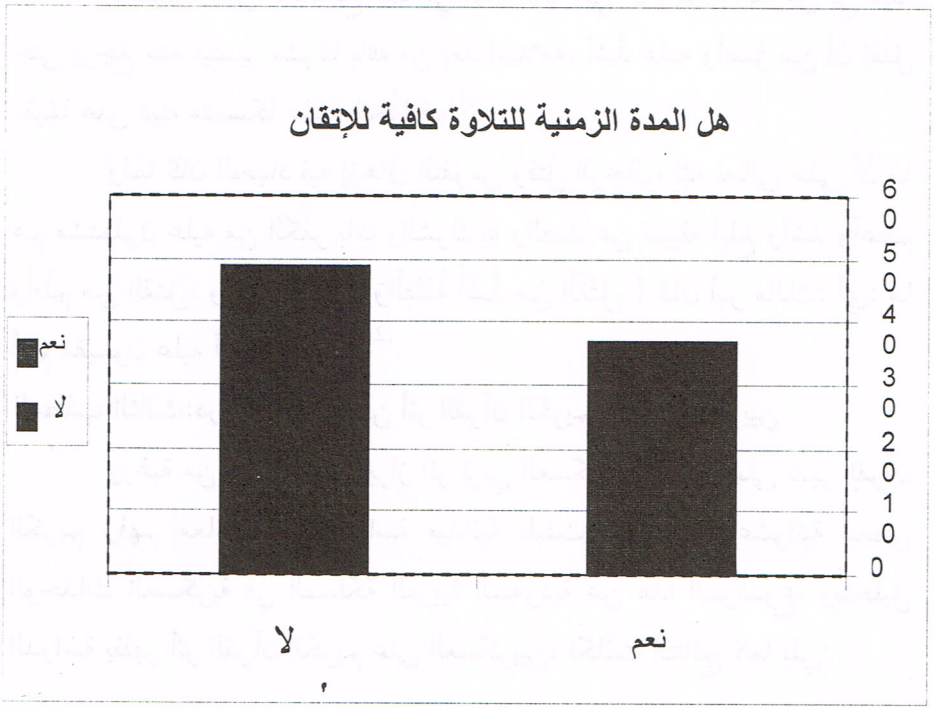
هل المدة الزمنية للتلاوة كافية للإتقان
نعم
لا
600
500
400
300
200
100
0
لا
نعم

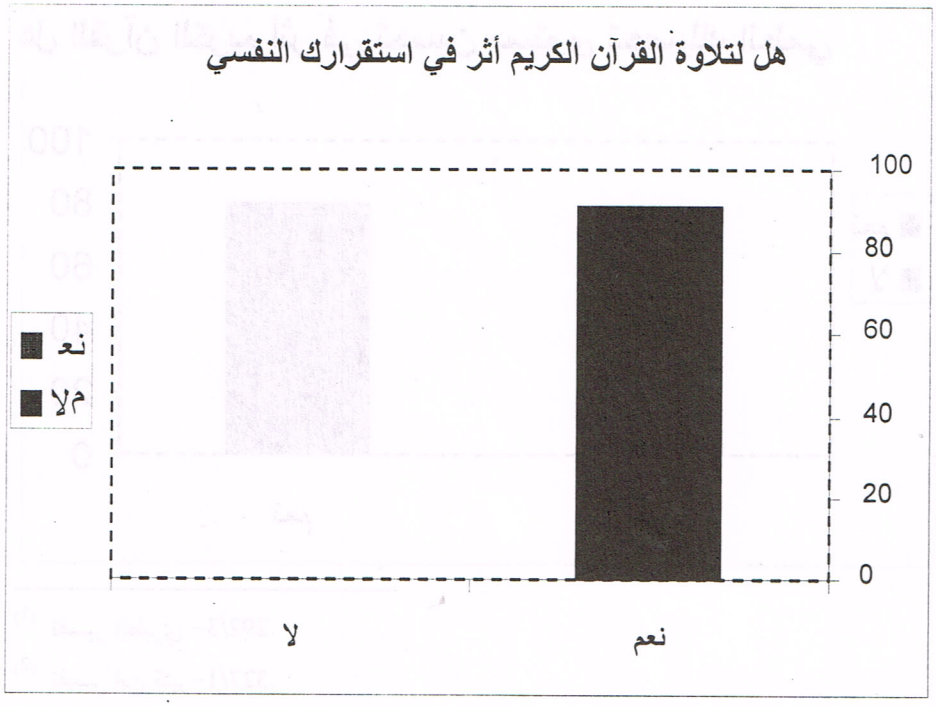
هل لتلاوة القرآن الكريم أثر في استقرارك النفسي
نعم
لا
100
80
60
40
20
0
لا
نعم

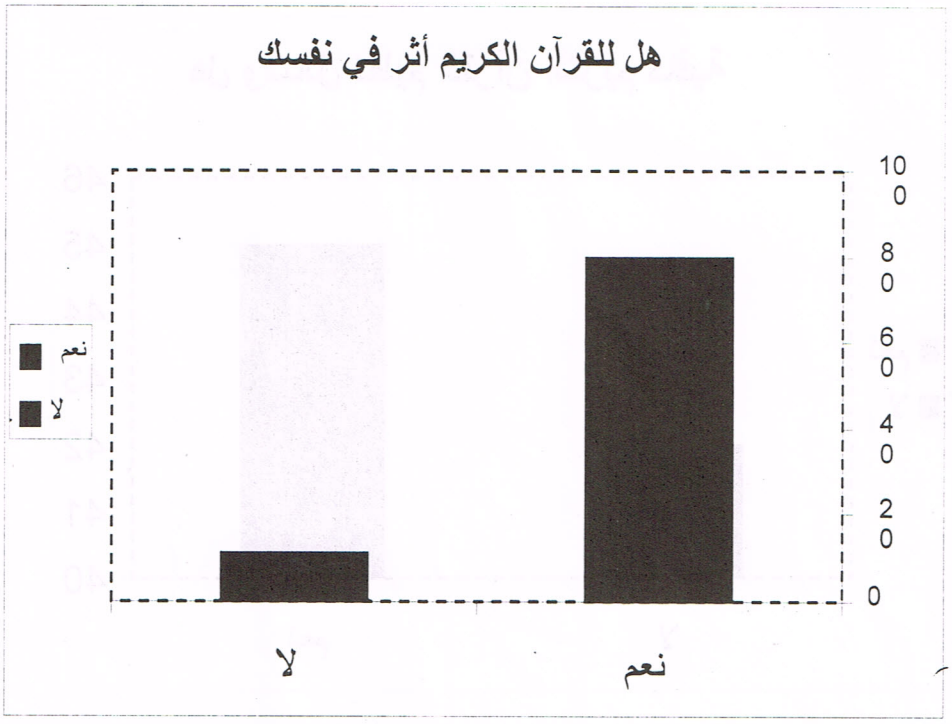
هل للقرآن الكريم أثر في نفسك
نعم
لا
100
80
60
40
20
0
لا
نعم

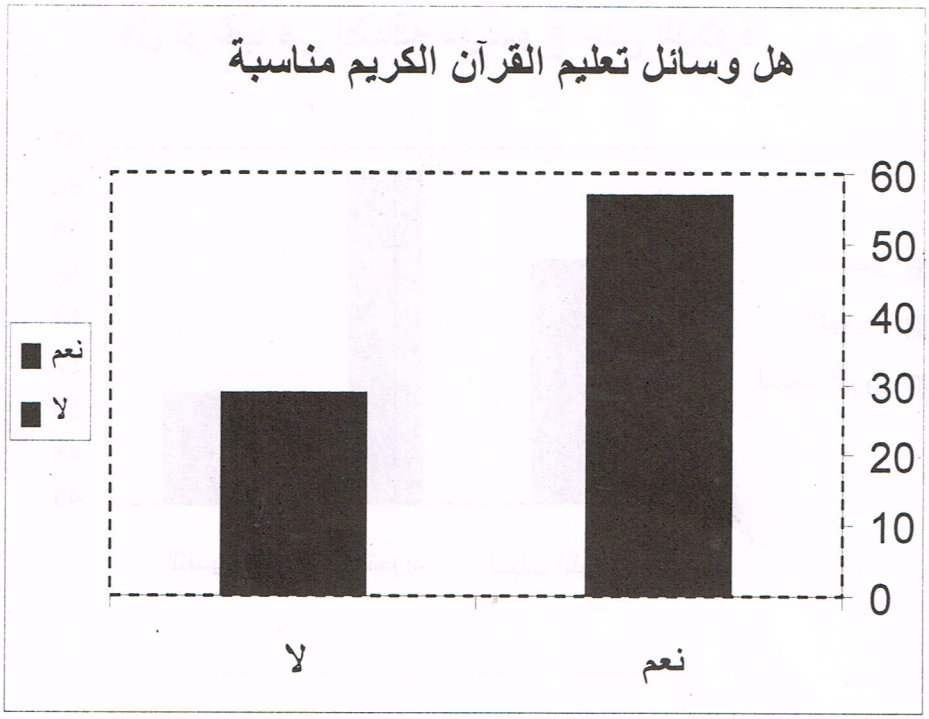
هل وسائل تعليم القرآن الكريم مناسبة
نعم
لا
60
50
40
30
20
10
0
لا
نعم

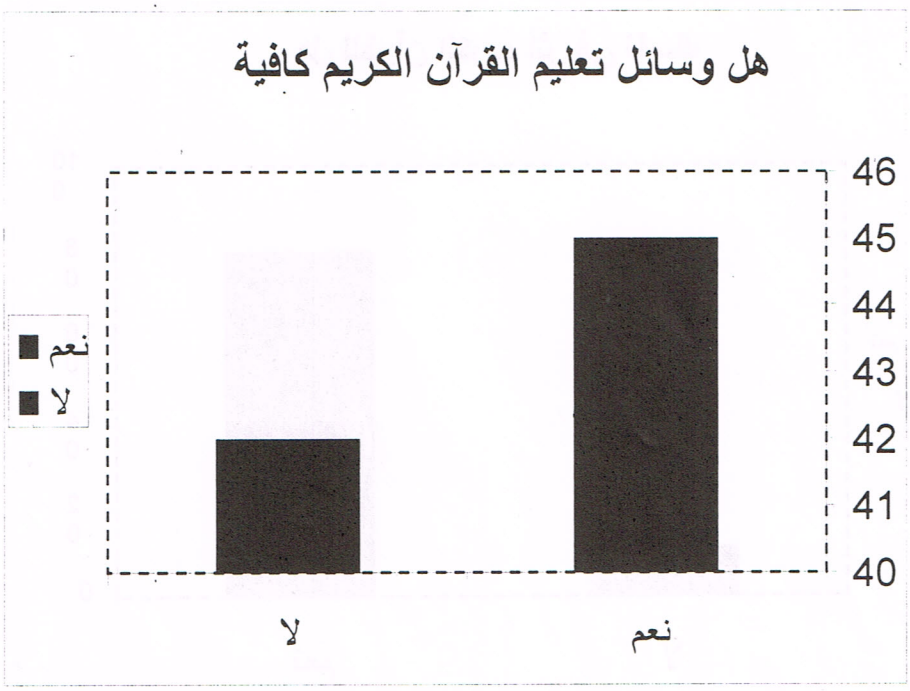
هل وسائل تعليم القرآن الكريم كافية
46
45
44
43
42
41
40
نعم
لا
لا
نعم

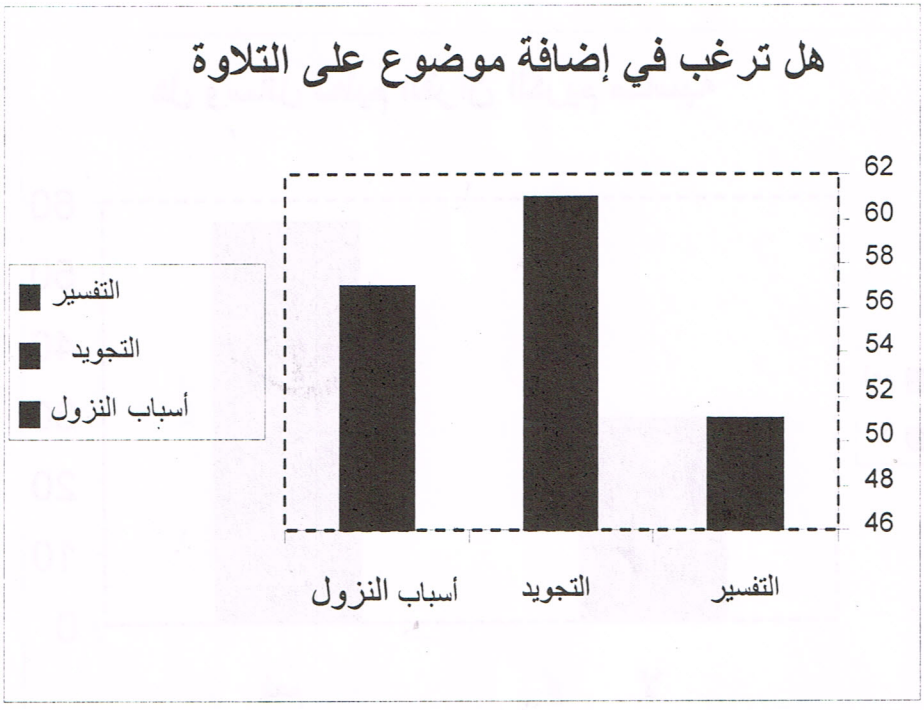
هل ترغب في إضافة موضوع على التلاوة
62
60
58
56
54
52
50
48
46
التفسير
التجويد
أسباب النزول
أسباب النزول
التجويد
التفسير

وقفة مع نتائج الاستبانة:

من قراءة نتائج الاستبانة السابقة يظهر للباحث الدور الايجابي والعلمي للجمعية في تحقيق التربية العقدية للعسكريين، وذلك من خلال الوقفات التالية:

1. اتفقت آراء شرائح الاستبانة أن للقرآن الكريم دور في الاستقرار النفسي، وهذا من مدلولات قوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[1]. فقد جعل الله هذا القرآن، وهو الكتاب نورا، يعني ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة، ونسدد إلى سبيل الصواب، ونهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا[2].

ولا يخفى على المربين أن الاستقرار النفسي للمتربي تظهر نتائج التربية إيجابية، فكيف إذا كان هذا المتربي ممن يتولى أشق الأعمال والمهن، وأشرفها وهو الجانب الأمني والدفاع عن أعراض وأموال وأرواح ومقدسات المسلمين.

2. رغبة العسكريين أن تشمل حلقات التحفيظ جميع الوحدات العسكرية (الميدانية والتعليمية) والإكثار منها، وهذا لما تحقق لديهم من فوائد مرجوة، وتوجيهات إيمانية قدمت لهم عن طريق جمعية الأمير سلطان الخيرية. وقد أخبر الله بكتابه عن حال عباده مع القرآن فقال {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[3].

إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فمعنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل

---

(1) سورة الشورى-آية (52).

(2) تفسير الطبري -543/20 (بتصرف)

(3) سورة الرعد-آية (28).

على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام. هذا من معاني[1].

3. في المراكز التعليمية الخاصة بالعسكريين -من كليات ومعاهد- في المملكة العربية السعودية تقام حلق تحفيظ للقرآن الكريم في غير التعليم النظامي، ونلاحظ في شرائح الاستبانة أن هذه الحلقة كان لها الأثر الايجابي في التحصيل العلمي وزيادة في المستوى التعليمي، وقد يكون هذا من مفاهيم الخيرية الواردة في الحديث عن النبي ﷺ قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[2].

4. من خلال نتائج شرائح الاستبانة يظهر رغبة العسكريين أن يتضمن التلاوة في حلقات تحفيظ القرآن الكريم العلوم والمعارف المرتبطة بالقرآن الكريم، وهذا مما يدل على رغبة العسكريين الإرتباط الأكثر في القرآن، كما تظهر استبانة الرغبة في زيادة الأكثر لوقت الحلقة.

5. لا يقف دور حلقة التحفيظ على التلقين فقط، وإنما الأهم من ذلك وهو الفهم، وهو ما تدل عليه الآية الكريمة {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[3]. وهذا ما يشير إليه استبانة الإكثار من التفسير.

6. المكافأة على حفظ القرآن الكريم في القطاع العسكري، لا يحصر في الجانب المادي فقط، ولهذا كان إقبال المتعلمين على حلقة التحفيظ في المؤسسات التعليمية العسكرية كبيراً، لتقديرهم والرفع من معنوياهم عند المسؤولين في القطاع.

---

(1) تفسير السعدي - 372/1 (بتصرف).

(2) صحيح البخاري -باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه- رقم الحديث (4639).

(3) سورة ص- آية (29).

7. تشير نتيجة الاستبانة رغبة المتعلمين إلى زيادة وقت الحلقة، مما يؤكد حاجة العسكري إلى تلاوة القرآن الكريم، والوقوف على معانيه.

من خلال ما يظهر من نتائج الاستبانة يؤكد على أن التربية القرآنية هي أنفع وأصلح التربيات، وأن الحاجة -وبخاصة في هذا العصر- تستلزم الإكثار والتطوير من تعليم وتربية العسكري على كتاب الله تعالى.

التوصيات:

بعد عرض لأبرز معالم المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم يقدم الباحث أبرز التوصيات التي ظهرت له من خلال هذه الدراسة، والتي تتمثل بما يلي:

1. بيان شمولية الوحي الإلهي في التربية والتوجيه وأنه المصدر الأساس في ذلك.
2. إقامة ملتقى دولي على مستوى وزارة الدفاع الدول الإسلامية لدراسة التوجيهات القرآنية للعسكريين.
3. الاستفادة من تجارب الدول الإسلامية في تعليم العسكريين تلاوة وتدبر القرآن الكريم.
4. استثمار وسائل التواصل التقني الحديث في نشر ثقافة تدبر العسكريين للقرآن الكريم وتعليم التوجيهات القرآنية في ذلك.
5. دعم البحوث والدراسات التي تعنى بدراسة التوجيهات العسكرية في القرآن الكريم.
6. التأكيد على تعليم القطاع العسكري وسائل تدبر القرآن الكريم ووضع آليات علمية لذلك.

7. تتبنى الكليات العسكرية في الدول الإسلامية تخصيص مفردة عن المبادئ والتوجيهات القرآنية للعسكريين.

8. إصدار مجلة علمية متخصصة في الدراسات العسكرية في ضوء القرآن الكريم.